المَدْخَلُ
الدِّينُ لِلّٰهِ، وَالْوَطَنُ لِلْجَمِيعِ

إعلم عبدالله أن الدين لله وحده، لأنه لا يملك القلوب إلا الله، لأنه وحده هو مُقَلِّبُهَا، وَمَالِكُ أَمْرِهَا، وَيَعْلَمُ سِرَّهَا وَنَجْوَاهَا، كما قال رسول الله ﷺ: (الْقُلُوبُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ)، فَالْقُلُوبُ صَنَادِيقُ مُغْلَقَةٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ عَلاَّمَ الْغُيُوبِ.

وَأَمَّا الْوَطَنُ لِلْجَمِيعِ

لأنَّ الوطنَ يُطِلُّ بسمائه وشمسه وقمره وأرضه وخيراته على الناس جميعًا، لاَ يَخُصُّ طائفةً عن الأخرى، و لا يمنح الله قطعةً، أو جزءًا لهذا الدين ويمنعهُ عن الآخرين، بل وهب الله – عزّ وجل – الكون للجميع مسلمهِ وكافرهِ، وأعطى الرزق وَكَفَلَهُ لكل الأجناس، لا يفرق في هذا العطاء بين الأديان، ولا الألوان، ولا الأجناس، كما جاء في كتابه تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ١٢٦).

فَعِنْدَمَا دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يرزق أهل مكة الخير الوفير، ليصبح بها زرعٌ وتمرٌ وفيرٌ، فاستجاب اللهُ لدعائه، بعد ما كانت صحراءَ جرداءَ ليس بها زرعٌ ولا ماءٌ، فأصبح الخير يَعُجُّ بأهلها من كثرته، وَلَـمَّا خَصَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام بالدعاء للمؤمنين وحدهم إظهارًا لشرف هذا الإيمان ورفعةً لشأنه، عَلَّمَهُ اللهُ شُمُولِيَّةَ الرَّحْمَةَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا، مؤمنهم وكافرهم، وأن يكون رزقُ اللهِ للناس في الدنيا لجميع عُمَّارِ هذه الأرض، لاَ يَخُصُّ منهم

المؤمنُ عن الكافر، أَمَّا الحسابُ والجزاءُ والجنة والنارُ أَمْرُهَا عِنْدَ عَلاَّمَ الْغُيُوبِ، لا يعلمُ سرَّ ذلك إلا هُوَ، وَلاَ يُحَدِّدُ مَصِيرَ ذَلِكَ إِلاَّ هُوَ وَحْدَهُ، لِذَا وجب علينا اتباع ما جاء في كتابه تعالى، وَسُنَةَ نَبِيِّهِ ﷺ بفهم سلف الأمة، كما جاء في كتابه تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٣١).

هَذِهِ الآيةُ الكريمةُ حاكمةٌ على كل من ادَّعَى مَحَبَّةَ الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنهُ كاذبٌ في دَعْوَاهُ في ذلك الأمر، حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ الْمُحَمَّدِي وَالدِّينَ السَّمَاوِيَّ في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الحديث المتفق عليه من حديث عائشة ﵂، أنها قالت: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) (١).

لِذَا وَجَبَ عَلَيْنَا، لَو انْتَقَدْنَا غَيْرَنَا مِنْ أَيِّ جِهَةٍ، أَوْ أَيِّ مِلَّةٍ: أَنْ يَكُونَ نَقْدُنَا نَقْدًا مَوْضُوعِيًّا شَفَّافًا يَتَلَمَّسُ خَطَى رَوْحِ الإِسْلاَمِ وَعَدْلِهِ، كما جاء في كتابه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة: ٨).

أَيْ: كُونُوا قَوَامِينَ بِالْحَقِّ لِلَّهِ - عزَ وجل -، لا لأجل الناس والسمعة، وَلاَ يَحْمِلُ ابْنُ آدَمَ بغضهُ لقوم، أو طائفة، أوْ مِلَّةٍ ترك العدل فيهم، بل وجب العدل مع كل أحد أيًّا كان، صديقًا، أو عدوًّا، أو على غير ملة الإسلام.

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: ثمرةُ هذه الآية: الدَّلاَلَةُ على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بالقسط، فيدخل فيه الشهادة بالعدل، والحكم به، وكذلك الفتوى، وأن قولَ الحقِّ لا يترك وجوبهُ بِعَدُوٍّ، ولا صديق، ولا يجوز اتِّباعَ الْهَوَى.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: وفي هذا تنبيهٌ عظيمٌ على أنَّ العدلَ إذا كان واجبًا مع

(١) صحيح تفسير ابن كثير: (١/ ٣٤١)، والحديث رواه البخاري (٢٥٥٠)، ومسلم (١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤)، وأحمد (٢٥٧٩٧)، (وأبو يعلى (٤٥٩٤)، وابن حبان (٢٦)، والدارقطني (٧٨) (٤/ ٢٢٤)، والبيهقي (٢١١٢٣) ر(٢١٨٠٠) من حديث عائشة ﵂.

الكفار الذين هم أعداءُ اللهِ، وإذا كان بهذه الصفة من الْقُوَّةِ، فما الظَّنُّ بوجوبه مع المؤمنينَ هم أولياؤهُ وأحباؤهُ.[1]

فَالنَّقْدُ الإسلاميُّ المعصومُ، والذي لا كلامَ ولا تأويلَ غيرهُ، لِأَنَ فَحْوَاهُ قد نزل بحبل ممدود من السماء على رسوله ﷺ قرآنًا وسنةً وهو دستورٌ سماويٌّ نزل به الروح الأمين، ليكون نذيرًا للعالمين، كما قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ (الشعراء: ١٩٣-١٩٤)، ولا يجب التطرق إليه، ولا إمعان الفكر فيه، إلا للعبرةِ، واتباعِ أحسنِ الْهَدْيِ.

أَمَّا النَّقْدُ الإِسْلَامِيُّ الغير معصوم والذي جاء من عند البشر، وما رآه بعض السَّاسَةِ والمفكرينَ، هو دُسْتُورٌ بَشَرِيٌّ يجب إمعان النظر إليه مرات ومرات وإعمال الفكر فيه، بل وتغييره إن أمكن، لأنه لا يوجد على وجه الأرض الآن من يَكُنْ قَوَّامًا على أمر الدين وحده، وَمُحْتَكِرًا لأمر الشريعةِ وحدهُ، لأنه مات صاحب الشريعة، فَالْكُلُ يُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُرَدُّ إِلاَّ صَاحِبِ الْقَبْرِ، أَيْ: محمد ﷺ، لأن العصمة له وحده، وبموته أصبحت العصمة لا يمتلكها أَيَّ إِنْسَانٍ أَيًّا كَانَ حتى لو كان أَخْلَصَ الناسِ اجتهادًا على وجه الأرض، فَالنَّقْدُ الْبَنَّاءُ جُزْءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ، لأنه يكون نقدًا عادلاً، وليس هَدَّامًا، فإذا كان الأَوَّلُ وصل بالمجتمع إلى سواءِ السَّبِيلِ، وإِذَا كان الثَّانِي وصل بالمجتمع إلى أضرارٍ بليغةٍ ورجع بنا إلى الوراء سِنِينَ عَدَدًا، فَجعلَ الْحَابِلَ وَالنَّابِلَ يتكلم بِلاَ ضَوَابِطَ وَلاَ أُسُسٍ، وبعد أن كان التيارُ الإسلاميُّ يُسْمَعُ في كل بيتٍ من القنواتِ الفضائيةِ، لأنه كان تيارًا دعويًّا فقط، وَلَـمَّا تَغَيَّرَتْ وِجْهَتَهُ وَحَوَّلَهَا إلى الْوُجْهَةِ السياسيةِ الممزوجةِ بالكذبِ والاحتيالِ والتسلقِ على أكتافِ الآخرينَ بأقوالٍ مغلوطةٍ مردودةٍ يظهر عفنها أمام نَاظِرَيْ من يشاهد تلك القنوات من همزٍ ولمزٍ وتجريحٍ للخصومِ: بل وانتهاكٍ للأعراضِ، بل ويزيد الأمر تعقيدًا وسوءًا بإصدار بعض الْـمُتَنَطِّعِينَ

(١) محاسن التأويل للقاسمي: (٤/ ٨٣).

فتاوى بإهدارِ دماءِ المعارضينَ من جبهةِ الإنقاذِ الوطنيِّ، ولولا وسطية الأزهر الشريف وأصحاب العقول الرشيدة من القنوات الفضائية الأخرى، لأصبحنا في نفقٍ مظلم وشرٍّ مستطير، ولذلك أصبحَ التيارُ الإسلاميُّ ممبوذًا في الساحةِ الآن، لأنه لم يفرق بين الإسلام الدَّعَوِيِّ، وَالإِسْلام السِّيَاسِيِّ، فحجب وطغىٰ الجانب السياسي على الجانب الدعوى، فأطلقَ لنفسه العنان، وتجرأت أفواهُهُ بالكلماتِ والتصريحاتِ التي تخدم من يطلقها لصاحب حزب، أو رئيس، أَوْ مَاشَابَهَ ذلك، فأصبح يَتَأَوَّلُ في التصريحات والبراهين، وَيُؤْتَى بِأَدِلَّةٍ ما أنزلَ اللهُ بها من سلطانٍ، فَالْجَانِبُ الدَّعَوِيُّ يَقُولُ: رَبِّيَ. رَبِّيَ، أَمَّا الْجَانِبُ الْحِزْبِيُّ، أَوِ السِّيَاسِيُّ، فَيَقُولُ: نفسي. نفسي، أو حزبي. حزبي، فَالْجَانِبُ الدَّعَوِيُّ هُوَ دَائِمٌ طَالَمَا أنهُ يلتزمُ بضوابطِ الشرعِ والدينِ، أَمَّا مَنْ يَقُولُ: نَفْسِي. نَفْسِي. حِزْبِي. حِزْبِي. رَئِيسِي. رَئِيسِي، فَهُوَ غَيْرُ دَائِمٌ، لأن الملك لله وحدهُ، فَالْمَلِكُ، أو الرئيسُ مهما أن طال عمره، وعلا في الأرض وَتَكَبَّرَ فيها وَتَجَبَّرَ فهو إلى زوالٍ، فلو أنه يُبْصِرُ حَقِيقَةَ ما ذهب في الزمن الماضي لَتَغَيَّرَ واقعهُ وأصلحَ حالهُ والذي بدوره سيصلحُ مآلهُ في الدنيا والآخرة، فأين فرعون مصر القديم والحديث؟ وأين هامان وقارون؟، وأين قوم عاد وثمود وقوم تُبَّع؟ وأين غيرهم من الْمُتَجَبِّرِينَ وَالْمتكبِّرِينَ:

أَيْنَ الظَّالِمُونَ وَأَيْنَ التَّابِعُونَ لَهُمْ فِي الْغَيِّ ... بَلْ أَيْنَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانْ؟
أَيْنَ مَنْ دَوَّخُوا الدُّنْيَا بِسَطْوَتِهِمْ ... وَذِكْرِهِمْ فِي الْوَرَى ظُلْمٌ وَطُغْيَانْ
هَلْ أَبْقَى الْمَوْتُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ ... أَوْ هَلْ نَجَا مِنْهُ بِالسُّلْطَانِ إِنْسَانْ؟
لاَ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَكْوَانَ مِنْ عَدَمٍ ... الْكُلُّ يَفْنَى فَلاَ إِنْسٌ وَلاَ جَانْ